حافظ إبراهيم

ولد في مصر سنة 1871 وتوفي فيها سنة 1932

حـافظ إبـراهيم

وُلِد في مصر. مات أبوه وهو في الرّابعة من عمره، فكفله خاله. تعاطى المحاماة ثم دخل المدرسة الحربيّة وتخرّج فيها ضابطًا. أُرسِلَ في حملةٍ عسكريّةٍ إلى السّودان حيث اشترك في ثورةٍ انتهت بالإخفاق، فأُحيلَ على أثرها إلى الإستيداع ثم على التّقاعد. لكنّه لم يلبث أن عُيِّن رئيسًا للقسم الأدبي في دار "الكُتُب المصريّة".

تأثّر حافظ إبراهيم بأحداث عصره وبيئته، يوم كانت تخضع للنّفوذ الإنكليزي؛ فكان شعره خير سِجِلٍّ زاخرٍ بالصّدق والوطنيّة والإنفعال، في أسلوبٍ شيّقٍ مطبوعٍ على الجزالة وقوة السّبك. وقد عاصر أحمد شوقي وخليل مطران، ولُقِّبَ بـ " شاعر النيل".

ألَمَّ بالفرنسيّة وترجم "البؤساء" لـفِكْتُور هُوجو، ومختارات لِرُوسّو. أسهم مع خليل مطران في ترجمة كتاب "موجز الإقتصاد".

خلّف ديوانًا شعريًّا حافلاً يجلّ الأغراض القديمة، من المديح والهجاء والخمرة وما إليها، بالإضافة إلى الموضوعات المستجدّة في عصر النّهضة والمناسبات السّياسية والإجتماعية التّي مرّت على مصر والبلاد العربية المجاورة.

توفّي في القاهرة.

كان حافظ إبراهيم شاعرًا مجيدًا ومُصلحًا اجتماعيًا حريصًا على استنهاض الأُمَم الشّرقية، داعيًا إلى محاربة الجهل، مُرجعًا سبب تخلّف الشّرقيّين إلى إهمالهم تربية النّساء؛ فجاءت قصيدته الرّائعة صرخةً في الضّمائر تحثُّ على ضرورة إعداد المرأة الشّرقية لتقوم بدورها في تربية جيلٍ مُستَنيرٍ، فيقول:

مَن لي بتربية النّساء فإنّها في الشّرق علّةُ ذلك الإخفـاق

الأمُ مـدرسـةٌ إذا أعْـدَدْتَـهـا أعدَدْتَ شــعبًا طـيّب الأعــراق

الديوان

سمَا الخطيبان في المعالِي

سمَا الخطيبان في المعالِي

وجازَ شَأواهُما السَّماكا

جالاً فلمْ يترُكَا مجالاً

و اعْتَرَكَا بالنُّى عِراكَا

فلستُ أدري على اختياري

منْ منهُمَا جَلَّ أنْ يُحاكَى

فوحْيُ عقْلي يقولُ:هذَا

ووَحيُ قلبي يقولُ: ذاكا

وَدِدْتُ لوْ كلُّ ذِي غُرورٍ

أمسِى لنعليهمَا شِراكَا

حَيَّا بَكُورُ الحَيا أرباعَ لُبنان

حَيَّا بَكُورُ الحَيا أرباعَ لُبنان

وطالعَ اليُمنُ مَن بالشَّأم حَيّاني

أهلَ الشَّآمِ لقد طوَّقتُمُ عُنُقي

بمنَّةٍ خرجتْ عن طَوْق تبيانِي

قُلْ للكريمِ الذي أسْدَى إليَّ يدَاً

أنَى نَزَحْتَ فأنتَ النازِحَ الدَاني

ما إنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِي ذِكْرَ عارِفَةٍ

هل يَحدثُ الذِّكرُ إلاّ بَعدَ نِسيانِ

ولا عَتَبتُ على خِلٍّ يَضَنُّ بها

ما دام يَزْهَدُ في شُكْري وعِرفاني

أقرَّ عَيْنِيَ أنَّي قُمْتُ أنْشِدُكُمْ

في مَعهَدٍ بحُلى العِرفانِ مُزدانِ

وشاعَ فيَّ سُرورٌ لا يُعادِلُه

رَدُّ الشَّبابِ إلى شَعْرِي وجُثمانِي

لي مَوطِنٌ في رُبُوعِ النِّيلِ أعظِمُه

ولِي هُنا في حِماكُمْ مَوْطنٌ ثانِي

إنِّي رأيتُ على أهْرامِها حُلَلاً

مِن الجَلالِ أراهَا فَوْقَ لبنانِ

لم يَمحُ منها ولا من حُسنِ جِدَّتها

على التَّعاقُبِ ما يَمحُو الجَديدانِ

حَسِبتُ نَفسي نَزيلاً بينكم فإذا

أهلي وصَحبي وأحبابي وجيراني

مِنْ كلِّ أبْلَجَ سامِي الطَّرْفِ مُضطلِعٍ

بالخَطْبِ مُبْهَجٍ بالضَّيْفِ جَذْلانِ

يَمشي إلى المَجدِ مُختالاً ومُبتَسِماً

كأنّه حين يَبدُو عُودُ مُرّانِ

سكنتمْ جنة فيحاء ليس بها

عَيبٌ سوى أنّها في العالَمِ الفاني

إذا تَأمَّلتَ في صُنعِ الإله بها

لَم تَلقَ في وَشْيِهِ صُنعاً لإنسانِ

في سَهْلِها وأعاليهَا وسَلْسَلِها

بُرْءُ العليلِ وسَلْوَى العاشِقِ العانِي

وفي تَضَوُّعِ أنفاسِ الرِّياضِ بها

رَوْحٌ لكلِّ حَزينِ القَلْبِ أسْوانِ

اَنَّى تَخَيَّرْتَ مِنْ لبنان مَنْزِلَةً

في كلِّ مَنزِلَةٍ رَوضٌ وعَينان

يا لَيتَني كنتُ من دُنيايَ في دَعَةٍ

قَلْبي جَميعٌ وأمْري طَوْع وجْدَانِي

أقضي المَصِيفَ بلُبنانٍ على شَرَفٍ

ولا أحُولُ عن المَشتى بحُلوان

يا وقفةً في جبال الأرز أنْشُدُها

بينَ الصنوبرِ والشربين والبان

تَستَهبطُ الوَحْيَ نَفسي من سَماوَتها

ويَنثَني مَلَكاً في الشِّعر شَيطاني

عَلّي أُجاوِدُكُم في القَول مُقْتَدِياً

بشاعِرِ الأرز في صُنعٍ وإتْقان

لا بِدْعَ إنْ أخصبتْ فيها قرائحُكُمْ

فأعجزتْ وأعادتْ عهدَحسَّان

طيبُ الهَواءِ وطِيبُ الرَّوض قدْ صَقَلا

لَوحَ الخَيال فأغراكُم وأغراني

مَن رامَ أن يَشهَدَ الفِردَوسَ ماثِلَةً

فليَغشَ أحياءَكُم في شهرِ نَيسان

تاهتْ بقبرصلاح الدِّينِثُرْبَتُهَا

وتاهَ أحياؤُها تِيهاً بمَطران

يَبْنِي ويَهْدِمُ في الشَّعْرِ القدِيم وفي

الشِّعر الحدِيثِ فَنعْمَ الهَادِمُ الباني

إذا لَمَحْتُمْ بشِعْري وَمْضَ بَارِقَةٍ

فَبَعْضُ إحْسانِه في القَوْلِ إحْسانِي

رَعياً لشاعِركُم، رَعياً لكاتِبِكُم

جَزاهُما اللهُ عَنّي ما يَقُولان

ارَى رجالاً مِن الدُّنيا الجَدِيدَةِ في

الدُّنيا القَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُنْيان

قد شيَّدوا آيةً بالشَّام خالِدَةً

شَتَّى المَناهلِ تَروي كلَّ ظَمآن

لئِن هَدَوْكُم لقد كانت أوائِلُكُم

تَهْدِي أوائلَهُمْ أزمْانَ أزْمان

لا غَرَو إنْ عَمَّروا في الأرضِ وابتَكَروا

فيها افَانِينَ إصْلاحٍ وعُمْران

فتِلْكَ دُنْياهُمُ في الجَوِّ قد نَزَعَتْ

أعِنّةَ الرِّيحِ مِنْ دُنْيا سُلَيْمان

أبَتْ أُمَيّةُ أنْ تَقْنَي محَامِدُها

على المَدى وأبى أبناءُ غَسّان

فمِن غَطارفَةٍ في جِلّقٍ نُجُبٍ

ومِنْ غَطارفَةٍ في أرْضِحَوْران

عافُوا المَذَلّةَ في الدّنيا فعندهمُ

عِزُّ الحياةِ وعِزُّ المَوْتَ سِيّان

لا يَصْبرُونَ على ضَيْمٍ يُحاولُه

باغٍ مِنَ الإنسِ أو طاغٍ من الجان

شَقَقْتُ أسْوافَبَيرُوتٍفما أخَذَتْ

عيناي في ساحِهَا حانوتَ يونانِي

فقلتُ في غِبطَةٍ: للهِ دَرُّهُمُ

ولَوْا سِراعاً وخَلَّوْا ذلك الواني

تَيَمَّمُوا أرضَ كُولُمبٍ فما شَعَرَت

منهم بَوطءِ غَريبِ الدارِ حَيران

سادُوا وشادُوا وأبلَوا في مَناكِبِها

بلاءَ مُضطَلِعٍ بالأمرِ مَعوان

إنْ ضاقَ ميدانُ سبقٍ منْ عزائمِهِمْ

صاحتْ بهمْ فأروهَا الفَ ميدان

لا يستشيرونَ إن همّوا سوى همَهم

تأبَى المُقامَ على ذلٍّ وإذعان

ولا يُبالونَ إنْ كانت قُبُورُهُمْ

دُرا الشَّوامِخ أو أجوافَ حِيتان

في الكون مورقهمْ في الشامِ مغرسهمْ

والغرسُ يزكو نقالاً بينَ بلدان

إنْ لم يَفُوزا بسلطانٍ يُقِرُّهُمُ

ففي المُهاجَرقد عَزُّوا بسلطان

أو ضاقتِ الشأمُ عن برهانِ قدرتهَمْ

ففي المُهاجَرِ قد جاءُوا ببرهان

إنّا رأينا كراماً من رجالهمُ

كانوا عليهمْ لدينا خير عنوان

أنّى التقينا التقَى في كلِ مجتمعٍ

أهلٌ بأهلٍ وإخوانٌ باخوان

كمْ في نواحي ربوعِ النّيلِ من طرفٍ

لليازجيِّ وصروفٍ وزيدان

وكم لأحيائِهم في الصُّحفِ من أثَرٍ

له المقطّمُ والأهرامُ رنان

متى أرى الشّرقَ أدناهُ أبعده

عن مَطمَعِ الغَرب فيه غيرَ وَسْنان

تجري المودّة من أعراقه طلقاً

كجريةِ الماءِ في أثناءِ أفنان

لافرقَ بين بوذيٍّ يعيشُ به

ومسلمٍ ويهوديٍ ونصرانِي

مابالُ دُنياهُ لمّا فاءَ وارِفُها

عليه أدبرتْ من غيرِ إيذان

عهدُ الرشيدِ ببغدادَ عفا ومَضَى

وفي دِمَشق انطوى عهدُ ابن مروان

لاتسلْ بعده عن عهدِ قرطبةٍ

كيف انمحى ْ بين أسيافٍ ونيران

فعَلّموا كلَّ حَيٍّ عندَ مَولِدِه

عليكَ للهِ والأوطان ديناِن

حَتمٌ قَضاؤُهُما حَتمٌ جَزاؤُهُما

فآربأ بنفسكَ أن تمنَى بخسران

النَّيلُ وهو إلى الأُردُنِّ في شَغَفٍ

يُهدي إلى بَرَدى أشواقَ وَلهان

وفي العِراق به وَجدٌ بدِجلَتِه

وبالفراتِ وتحنانٌ لسيحان

إنْ دامَ مانحن فيه من مُدابَرَةٍ

رأيتُ رأىَ المعرّي حين أرهقَه

ما حلّ بالناسِ من بغيٍ وعدوان

لا تظهرُ الأرضَ من رجسٍ ومن درنٍ

حتى يُعاودَها نُوحٌ بطُوفان

ولّى الشبابُ وجازتني فتوتُه

وهَدَّمَ السُّقمُ بعدَ السُّقمِ أركاني

أسوّفت أم أعدّت حرَّ أكفاني

شاهَدتُ مَصرَعَ أترابي فَبَشَّرَني

بضجعةٍ عندها روحي وريحاني

كم منْ قريبٍ نأى عنّي فأوجَعَني

وكم عَزيزٍ مَضَى قبلي فأبكاني

من كانَ يسألُ عن قومي فإنّهمُ

إني مللْتُ وقوفي في كلِ آونةٍ

أبكي وأنظِمُ أحزاناً بأحزان

إذا تَصَفَّحتَ ديواني لتَقرأني

وجدتَ شعرَ المراثي نصفَ ديواني

أتيتُ مستشفياً والشوقُ يدفعُ بي

إلى رُباكُم وعودِي غيرُ فينان

فأنزلُوني مَكاناً أستَجِمُّ به

ويَنجلي عن فؤادي بَرحُ أحزاني

وجنبّوني على شكرٍ موائدكُم

بما حَوَتْ من أفاويهٍ وألوان

حسبي وحسبُ النُّهى ما نلتُ من كرمٍ

قد كدتُ أنسى به أهلي وخُلاّني

جرائِدٌ ما خُطَّ حَرفٌ بها

جرائِدٌ ما خُطَّ حَرفٌ بها

لغيرِ تَفريقٍ وتَضليلِ

يحلُو بهَا الكِذْبُ لأرْبابِهَا

كأنَّها أوّل إبريلِ

يا ساكِنَ البيتِ الزُّجا

يا ساكِنَ البيتِ الزُّجا

جِ هَبلتَ، لا تَرمِ الحُصُونا

أرأيتَ قبلكَ عارياً

يَبغي نِزالَ الدَّارِعينا

لا تَعجَبوا فمَليكُكُم لَعِبَت به

لا تَعجَبوا فمَليكُكُم لَعِبَت به

أيدي البطانَةِ وهو في تَضليلِ

إنِّي أراهُ كأنّه في رُقعَة الشِّـ

شِّطْرَنْجِ أو في قاعةِ التَّمثيلِ

عَطَّلْتَ فَنَّ الكَهْرَباءِ فلمْ نَجِدْ

عَطَّلْتَ فَنَّ الكَهْرَباءِ فلمْ نَجِدْ

شَيئاً يَعوقُ مَسيرَها إلاّكا

تَسري على وَجهِ البسيطةِ لَحظَةً

فتَجُوبُها وتَحارُ في أحشاكا

أخْرقُ الدُّفَّ لو رَأيْتُ شَكِيبَا

أخْرقُ الدُّفَّ لو رَأيْتُ شَكِيبَا

و أفُضُّ الأدْكارَ حتَّى يَغيبَا

هو ذِكري وقِبلَتي وإمامي

و طبيبي اذا دَعَوْتُ الطَّبيبَا

لو تَراني وقد تَعَمَّدتَ قَتلي

بالتَّنائي رأيتَ شيخاً حَريبَا

كانَ لا ينحنِي لغَيركَ إجْلا

لاً ولا يَشتَهي سواكَ حَبيبا

لا تَعِيبَنَّ يا شكيبُ دبيبي

إنّما الشيخُ مَن يَدِبُّ دَبيبا

كم شربتَ المُدامَ في حَضرَةِ الشَّيْـ

ـخ جِهاراً وكمْ سُقِيتَ الحَليبَا

وإذا أدنَفَ الشُّيوخُ غرامٌ

كنتُ في حَلبَةِ الشُّيوخ نَقيبا

عُدْ إلينا فقد أطلتَ التَّجافي

واركبِ البَرْقَ إنْ أطقْتَ الرُّكُوبَا

وإذا خِفْتَ ما يُخَاف مِن اليَمِّ

ـمِّ فَرَشْنا لأخمَصَيكَ القُلوبا

وَدَعَونا بِساطَ صاحِبِ بِلقِيـ

ـسَ فلَبَّى دُعاءَنا مُستَجيبا

وأمَرنا الرِّياحَ تَجري بأمرٍ

منكَ حتى نَراكَ مِنّا قَريبا

أدِيمُ وجهكَ يا زِنْدِيقُ لوْ جُعِلَتْ

أدِيمُ وجهكَ يا زِنْدِيقُ لوْ جُعِلَتْ

منه الوقايَةُ والتَّجليدُ للكُتُبِ

لم يَعلُها عَنكَبُوتٌ أينَما تُركتْ

و لاَ تُخافُ عليها سَطْوَةُ اللَّهبِ

هنا يَستَغيثُ الطِّرسُ والنِّقسُ والذي

هنا يَستَغيثُ الطِّرسُ والنِّقسُ والذي

يخُطُّ ومنْ يَتلوُ ومنْ يَتَسَمَّعُ

مخازٍ وما أدرى إذا ما ذكَرتُها

إلى الحَمدِ أُدعى أو إلى اللَّومِ أدفَعُ

أثرتَ بنا مِنَ الشَّوق القديم

أثرتَ بنا مِنَ الشَّوق القديم

وذِكرَى ذلكَ العيش الرَّخيم

وأيّامٍ كَسَوناها جَمَالاً

وأرقَصنا لها فَلَكَ النَّعيم

مَلأناها بنا حُسناً فكانت

بجيدِ الدَّهر كالعِقدِ النَّظِيم

وفِتيانٍ مَساميح عليهم

جلابيبٌ منَ الدَّوق السَّليم

لهمْ شيمٌ ألذُّ من الأمانِي

وأطربُ منْ معاطاةِ النَّديم

كهمِّكَ في الخَلاعَةِ والتَّصابي

وإنْ كانوا على خُلُقٍ عَظيمِ

ودعوتهم إلى أنسٍ فوافَوا

موافاةَ الكريمِ إلى الكريمِ

وَجَاءُوا كَالقَطا وَرَدَتْ نَميراً

عَلى ظمَإٍ وهَبُّوا كالنَّسِيمِ

وكانَ اللَّيْلُ يمرحُ في شبابٍ

ويَلهُو بالمَجَرَّةِ والنُّجُومِ

فواصَلنا كُؤوسَ الرّاحِ حتى

بَدَتْ للعينِ أنوارُ الصَّريمِ

وأعملنَا بهَا رأيَابنِ هاني

فألحِقْنا بأصحابِ الرَّقيمِ

وظَبْيٍ مِنْ بنِي مِصْرٍ غَريرٍ

شَهيَّ اللَّفظِ ذي خَدٍّ مَشيمِ

ولَحْظٍ بابليٍّ ذِي انكسارٍ

كأنَّ بطرفهِ سيما اليتيمِ

سقانَا في مُنادَمَةٍ حديثاً

نَسِينَا عِنْده بِنْتَ الكُرُومِ

سَلامُ اللهِ يا عَهدَ التَّصابي

عليكَ وفِتيَةِ العَهدِ القَديمِ

أحِنُّ لهم ودُونَهُمُ فَلاةٌ

كأنَّ فَسِيحَها صَدرُ الحَليمِ

كأنَ أديمَهَا أحشاءُ صَبٍّ

قدْ التهبتْ مِنَ الوجْدِ الأليمِ

كَأنَّ سَرَابَها إذْ لاَحَ فِيها

خِداعٌ لاحَ في وجهِ اللَّئيمِ

تَضِلُّ بليلهالِهْبٌفتَحْكِي

بوادي التِّيهِ أقوامَ الكَليمِ

وتَمشي السّافياتُ بها حَيارَى

إذا نُقِلَ الههجيرُ عن الجحيمِ

فمَن لي أنْ أرى تلك المَغاني

ومافيها من الحُسنِ القَديمِ

فما حَظُّ ابنِ داوُدٍ كحَظِّي

ولاَ أُوتيتُ مِنْ عِلْمِ العليمِ

ولا أنا مُطلَقٌ كالفِكرِ أسري

فاستَبِقُ الضَّواحِكَ في الغُيُومِ

ولكنّي مُقَيَّدَةٌ رِحَالِي

بقَيدِ العُدمِ في وادي الهُمومِ

نَزَحتُ عن الدّيارِ أرُوَّمُ رِزقي

وأضرِبُ في المهامِةِ والتُّخُومِ

وما غادَرتُ في السُودان قَفراً

ولم أصبُغ بتُربَتِه أديمي

وهأنا بين أنيابِ المَنايا

وتحت بَراثِنِ الخَطبِ الجَسيمِ

ولولاَ سَوْرَةٌ للمجدِ عِندي

قَنِعْتُ بعيشتِي قَنَعَ الظَّليمِ

أيابْنَ الأكرَمين أباً وجَدّاً

ويا بنَ عُضادَةِ الدِّنِ القَويمِ

أقامَ لدِيننَا أهلُوكَ رُكْناً

له نَسَبٌ إلى رُكنِ الحَطيمِ

فما طافَ العُفاةُ به وعادُوا

بغيرِ العسجديةِ واللطِيمِ

أتَيْتُكَ والخُطُوبُ تُزِفُّ رَحلِي

ولي حالٌ أرقُّ مِنَ السَّديمِ

وقدْ أصبْحَتُ مِنْ سَعْيِ وكَدحِي

على الأرزاق كالثَّوبِ الرَّديمِ

فلاَ تُخْلَقْ-فُدِيتَ-أديمَ وجَهِي

ولا تَقطَعْ مُواصَلَةَ الحَميمِ

أخي واللهِ قد مُلِىء الوطابُ

أخي واللهِ قد مُلِىء الوطابُ

وداخَلَنِي بصُحبتِكَ ارتيابُ

رَجَوتُكَ مَرّةً وعَتَبتُ أُخرى

فلاَ أجْدَى الرَّجاءُ ولا العِتابُ

نَبَذْتَ مَوَدّتي فاهْنَأْ ببُعدي

فآخِرُ عَهدِنَا هذا الكتابُ

سُوَرٌ عِندِي لهُ مكتوبَةٌ

سُوَرٌ عِندِي لهُ مكتوبَةٌ

ودَّ لوْ يسرِي بهَا الرُّوحُ الأمينْ

إنّني لا آمَنُ الرُّسلَ ولا

آمَنُ الكُتْبَ على ما تَحْتَوِينْ

مُستَهِينٌ بالذي كابَدْتُهُ

وهو لا يدري بماذا يَستَهينْ

أنا في هَمٍّ ويَأسٍ وأسىً

حاضِرُ اللَّوعَةِ مَوصُولُ الأنينْ

يا سَيِّدي وإمامي

يا سَيِّدي وإمامي

وياأديبَ الزَّمانِ

قد عاقنِي سُوءُ حظِّي

عنْ حفلةِ المهرجانِ

وكنتُ أوّلَ ساعٍ

إلى رحابِ ابنِ هاني

لكنْ مرضتُ لنحْسِي

في يومِ ذاكَ القرانِ

وقد كفاني عِقاباً

ماكانَ من حِرماني

حُرمتُ رُؤْيَةَ شوقي

ولثمَ تلكَ البَنانِ

فاصفحْ فأنتَ خليقٌ

بالصَّفحِ عن كلِّ جاني

وعِشْ لعرشِ المعانِي

و دُمْ لتاجِ البيانِ

إنْ فَاتَني أنْ أُوَفِّي

بالأمسِ حقَّ التَّهانِي

فاقبلهُ منِّي قضاءً

وكُن كَريمَ الجَنان

واللهُ يَقبَلُ مِنَّا الصَّـ

صَّلاةَ بعدَ الأوان

لي وَلَدٌ سَمَّيْتُهُ حافِظاً

لي وَلَدٌ سَمَّيْتُهُ حافِظاً

تَيَمُّناً بحافِظِ الشَّاعِر

كحافظِ ابراهيمَ لكنّه

أجمَلُ خَلقاً منه في الظَّاهِر

فلَعنَةُ اللهِ على حافِظٍ

إنْ لم يَكُنْ بالشّاعِر الماهِر

لَعَلَّ أرضَ الشامِ تُزهى به

على بلادِ الأدَبِ الزّاهِر

على بلادِ النِّيل تلك التي

تاهت باصحابِ الذكَا النادر

شوقيومطرانَوصبري ومنْ

سَمَّيتُه في مَطلعي الباهِر

يُنسِي اباهُ حِكمةَ الناثر

شِعرٌ نظمناهُ ولولاَ الذي

رُزِقتُه ما مرَّ بالخاطر

وابدَأ بهَجْوِ الوالِدِ الآمِر

فالذَّنبُ ذنبي وأنا المُعتَدى

هلْ يسلمُ الشَّاعرُ منْ شاعر

يا ساكني مِصرَ إنّا لا نَزالُ على:

يا ساكني مِصرَ إنّا لا نَزالُ على:

عَهْدِ الوَفاءوإنْ غِبْنامُقِيمِينَا

هَلاَّ بَعَثْتُمْ لنا من ماءِ نَهرِكُمُ

شيئاً نَبُلُّ به أحْشاءَ صادِينَا

كلُّ المَناهِلِ بَعدَ النِّيلِ آسِنَةٌ

ما أبْعَدَ النِّيلَ إلاّ عَنْ أمانِينَا

يارَئيسَ الشِّعر قُل لي

يارَئيسَ الشِّعرِ قُل لي

مَا الذّي يَقْضِي الرَّئِيسُ

أنْتَ فيْ الحِيزَةِ خَافٍ

مِثْلما تَخْفَى الشُّمُوسُ

قابعٌ في كِسرِ بَيتٍ

قَدْ أظَلَّتْه الغُرُوسُ

زاهِدٌ في كلِّ شَيءٍ

مُطرِقٌ ساهٍ عَبُوسُ

أين شعرٌ منكَ نَضرٌ

فَلَنَا فيه مَسِيسُ

وحَدِيثٌ منكَ حُلْوٌ

يَتَشَهّاه الجُلُوسُ

وفُكاهاتٌ عِذابٌ

تَتَمَنّاها النُّفُوسُ

قد جَفَوتَ الشِّعر حتى

حَدَّثت عنك الطُّرُوسُ

وهَجَرْتَ الناسَ حتّى

ساءَلُوا أين الأنيسُ

قُلْ للنَّقِيبِ لقد زُرْنَا فَضِيلَتَهُ

قُلْ للنَّقِيبِ لقد زُرْنَا فَضِيلَتَهُ

فذَادَنا عنه حُرّاسٌ وحُجّابُ

قَدْ كان بَابُكَ مَفْتُوحاً لقاصِدِه

واليومَ أُوصدَ دُونَ القاصِدِ البابُ

هلاّ ذكَرتَ بدارِ الكُتبِ صُحبَتَنا

إذْ نَحنُ رغمَ صُرُوف الدَّهرِ أحبابُ

لو أنّني جِئتُ للبابا لأكرَمَني

وكان يُكرِمُني لو جِئتُهُ الباب

لا تَخشَ جائِزَةً قد جِئتُ أطلُبُها

إنِّي شَريفٌ وللأشرافِ أحسابُ

فاهْنَأ بما نِلْتَ مِنْ فَضْلٍ وإنْ قُطِعَتْ

بَيْني وبَيْنَكَ بَعْدَ اليَومِ أسْبابُ

قُلْ للرَّئيسِ أدامَ اللهُ دَولَتَهُ

قُلْ للرَّئيسِ أدامَ اللهُ دَولَتَهُ

بأنّ شاعِرَه بالبابِ مُنتَظِرُ

إنْ شاءَ حَدَّثَهُ أو شاءَ أطرَبَهُ

بكلِّ نادِرَةٍ تُجْلى بها الفِكرُ

يُرْغِي ويُزْبِدُ بالقافاتِ تَحْسبُها

يُرْغِي ويُزْبِدُ بالقَافَاتِ تَحْسبُها

قصفَ المدافع في أفق البساتين

منْ كلِّ قافٍ كأن اللهَ صوَّرها

من مارج النار تصويرَ الشياطين

قد خصَّه اللهُ بالقافاتِ يعلُكها

واختَصَّ سُبحانَه بالكافِ والنُّون

يَغيبُ عَنّا الحجا حِيناً ويحْضُرُه

حيناً فيخلطُ مختلاً بموزون

لا يأمَنُ السامعُ المسكينُ وثْبَتَه

مِن كردفان إلى أعلى فِلَسطِين

بَيْنَا تراه ينادي الناسَ في حَلَبٍ

إذا به يَتَحَدَّى القَومَ في الصِّين

ولم يكن ذاكَ عن طَيشٍ ولا خَبَلٍ

لكنّها عَبقَريّاتُ الأساطين

يَبيتُ يَنسُجُ أحلاماً مُذْهَّبَةً

تُغني تفاسيرُها عن ابن سِيرين

طَوراً وَزيراً مُشاعاً في وزارَتِه

يُصَرِّفُ الأمرَ في كلِّ الدَّواوين

وتارَةً زَوجَ عُطبُولٍ خَدَلَّجَةٍ

حسناءَ تملِكُ آلافَ الفدادين

يُعفَى من المَهرِ إكراماً للحيَتِه

وما أظَلَّته من دُنيا ومِن دِين

شَكَرْتُ جَمِيلَ صُنْعِكُمُ

شَكَرْتُ جَمِيلَ صُنْعِكُمُ

ودَمعُ العَيْنِ مِقياسُ الشُّعُورِ

لأوّلِ مَرّةٍ قد ذاقَ جَفني

على ماذاقه دَمعَ السُّرورِ

وافَى كِتابُكَ يَزْدَري

وافَى كِتابُكَ يَزْدَري

بالدُّرِّ أو بالجَوهَرِ

فقَرَأتُ فيه رِسالةً

مُزجَتْ بذَوبِ السُّكرِ

أجريْتَ في أثنائهَا

نَهرَ انسِجامِ الكَوثَرِ

وفرطْتَ بين سُطورها

مَنْظُومَ تاجِ القَيصرِ

وخَبَأتَ في ألفاظِها

مِنْ كلِّ مَعْنىً مُسْكِرِ

فتَرَى المَعاني الفارسيّـ

ـةَ في مَغاني الأسطُرِ

كالغانياتِ تَقَنَّعَتْ

خَوفَ المُريبِ المُجتري

مَعنىً ألَذُّ مِن الشَّما

تَةِ بالعَدُوِّ المُدْبرِ

أوْ مِنْ عِتابٍ بَيْنَ مَحْ

بُوبِ وحِبٍّ مُعْذِرِ

أو فَتْرَةٍ أضاعَها الْ

ـقامِرُ عند المَيسِرِ

أو مَجلسٍ للخَمرِ مَعْـ

ـقُودٍ بيومٍ مُمطِرِ

تِسعُونَ بيتاً شِدْتَها

فوقَ سِنانِ السَّمهَرِي

والسَّمْهَرِيُّ قَلَمٌ

في كَفِّ لَيْثٍ قَسْوَرِ

اَفَتَى القَوافِي كيفَ أدْ

ـتَ فقد أطَلتَ تَحَسُّري

أتُرَى أراكَ امِ اللّقا

ءُ يكونُ يومَ المَحشِرِ

ما كان ظَنِّي أنْ تَعيـ

ـشَ أيا لَئِيمَ المَكسِرِ

ولقد قُذِفْتَ الى الجَحـي

مِ وبئسَ عُقْبَي المُنْكَرِ

تاللّه لو أصْبَحْتَأفـْ

ـلاطُونَ تلكَ الأعصُرِ

وبَرَعْتَجالِينُوسَ أو

لُقمَانَ بين الحُضَّرِ

ما كنتَ إلاّ تافِهَ الْ

آدابِ عند المَعشَرِ

غُفرانَكَ اللهُمَّ إنِّـ

ـي مِن ظُلامَتِهِ بَري

سَوَّيْتَه كالكَركَدَنِّ

وجاءَنا كالأخْدَري

وَجْهٌ ولا وَجْهُ الحُطُو

بِ وقامَةٌ لم تُشبَرِ

ومِن العَجائِبِ أنَّ مثـ

لَ لِسانِه لَمْ يُبْتَرِ

كم باتَ يَلتَحِمُ العُرُو

ضَ وجاءَ بالأمْرِ الفَري

فافعَل به اللهُمَّ كالثَّـ

ـمرُوذِ فهو بها حَري

وانزِلْ عليه السُّخْطَ إنْ

أمْسَى ولَمْ يَستَغْفِرِ

فهو الّذي ابتَدعَ الرّبَا

وأقامَ رُكنَ الفُجَّرِ

وأقامَ دينَ عِبادَةِ الدِّ

ينارِ بَيْنَ الأظْهُرِ

ولقد عَجبتُ لبُخلِه

ولكَفِّهِ المستَحجِرِ

لا يَصْرِفُ السُّحْتُوتَ إلاَّ

وهوَ غيرُ مُخَيَّرِ

لو أنّ في إمكانِه

عيشاً بغيرِ تَضَوُّرِ

لاختارَ سَدَّ الفَتحَتَيـ

ـن وقال: يا جَيبُ احذرِ

طالَ الحديثُ عليكُمْ أيُّهَا السَّمَرُ

طالَ الحديثُ عليكُمْ أيُّهَا السَّمَرُ

ولاحَ للنَّومِ في أجفانِكُمْ أثَرُ

وذلك اللَّيلُ قد ضاعَتْ رَواحِلُه

فليسَ يُرْجَى لهُ منْ بَعْدِهَا سَفَرُ

هذي مَضاجِعُكُم يا قَومُ فالتَقِطوا

طِيبَ الكَرَى بعيونٍ شابهَا السَّهَرُ

هل يُنْكِرُ النَّوْمَ جَفْنُلو أتيحَ لهُ

إلاَّ أنا ونجُومُ اللَّيلِ والقَمَرُ

أبيتُ أسْألُ نَفْسِي كيفَ قاطعنِي

هذا الصَّديقُ ومالِي عنهُ مُصْطَبَرُ

فما مُطَوَّقَةٌ قدْ نالهَا شَرَكَ

عند الغُروبِ إليه ساقَها القَدَرُ

باتتْ تُجاهِدُ هَمًّا وهي آيسَةٌ

من النَّجاةِ وجُنحُ اللَّيلِ مُعتَكِرُ

وباتَ زُغلولُها في وَكرِها فَزِعاً

مُرَوَّعاً لرُجوعِ الأمِّ ينتظرُ

يُحَفِّزُ الخَوفُ أحشاهُ وتُزْعِجهُ

إذا سَرَتْ نَسمَةٌ أو وَسَوسَ الشَّجَرُ

مِنِّي بأسْوَأَ حالاً حِينَ قاطعنِي

هذا الصَّديقُ فهَلاَّ كان يَذَّكِرُ

يا بنَ الكِرامِ أتَنسى أنّني رَجُل

لِظِلِّ جاهِكَ بعدَ اللهِ مُفتَقِرُ

إنِّي فتاكَ فلاَ تقطعْ مواصلتِي

هَبني جَنيتُ فقُلْ لي كيفَ أعتَذِرُ

يا كاتِبَ الشَّرق ويا خَيرَ مَن

يا كاتِبَ الشَّرق ويا خَيرَ مَن

تَتْلُو بَنُو الشَّرق مَقاماتِهِ

سافرْ وعُدْ يحفظكَ رَبُّ الوَرَى

وابعَثْ لنا عيسى بآياتِهِ

مَنْ لَمْ يَرَ المعرضَ في اتِّساع

مَنْ لَمْ يَرَ المعرضَ في اتِّساع

وفاتَهُ ما فيهِ مِنْ إبداع

فمَعرضُ القَومِ بلا نِزاع

في نَفْثَةٍ مِنْ ذلكَ اليَرَاع

تَناءَيْتُ عنكمْ فحُلَّتْ عُرَا

تَناءَيْتُ عنكمْ فحُلَّتْ عُرَا

وضاعتْ عُهودٌ على ما أرَى

وأصبحَ حَبلُ اتِّصالي بكم

كخيطِ الغزالةِ بعدَ النَّوَى

لي كِساءٌ أنعِمْ به من كِساءِ

لي كِساءٌ أنعِمْ به من كِساء

أنا فيه أتيهُ مثلَ الكِسائي

حاكَهُ العِزُّ من خُيوطِ المَعالي

وسَقاهُ النَّعيمُ ماءَ الصَّفاء

وتَبَدّي في صِبْغَةٍ مِنْ أدِيم

اللَّيْلِ مَصْقولَةٍ بحُسْنِ الطِّلاء

خاطَهُ رَبُّه بإبرةِ يُمنٍ

أوجَرُوا سَمَّها خُيوطَ الهَناء

-فكأنِّي- وقد أحاطَ بجِسمي

في لِباسٍ من العُلا والبَهاء

تُكْبِرُ العَيْنُ رُؤيتَي وتَرانِي

في صُفوفِ الوُلاةِ والأمَراء

ألِفَ الناسُ- حيث كنتُ- مَكاني

ألْفَةَ المُعدِمينَ شَمسَ الشِّتاء

يا ردائِي وأنتَ خَيْرُ رِداءٍ

أرْتَجيهِ لزينةٍ وازدِهاء

لا أحالَتْ لكَ الحَوادِثُ لوناً

وتعَدتك ناسِجاتَ الجِواء

غَفَلَتْ عنكَ للبلى نَظَراتٌ

وتَخَطَّتْكَ إبْرَةُ الرَّقّاء

صَحِبَتْنِي قَبلَ اصطِحابِكَ دَهْراً

بدْلَةٌ في تَلوُّنِ الحِرْباء

نَسَبُوها لطَيْلَسانِ ابنِ حَرْبٍ

نِسبَةً لَم تَكُنْ بذاتِ افتراءِ

كنتُ فيها إذا طَرَقتُ أُناساً

أنكَرُوني كطارق مِن وَباءِ

كَسَفَ الدهرُ لونَها واستعارَتْ

لَوْنَ وَجْهِ الكَذُوبِ عند اللّقاءِ

يا ردائِي جَعَلْتَنِي عند قَوْمِي

فوقَ ما أشْتَهِي وفوقَ الرَّجاءِ

إنّ قومِي تَرُوقُهُمْ حِدَّةُ النَّوْ

بِ ولا يَعشَقُون غيرَ الرُّواءِ

قيمةُ المرءِ عندَهُم بين ثوبٍ

باهِرٍ لَوْنُه وبينَ حِذاءِ

قَعَدَ الفَضْلُ بي وقُمْتَ بعِزِّي

بين صَحبي، جُزيتَ خيرَ الجَزاءِ

هذا الظَّلامُ أثارَ كامِنَ دائي

هذا الظَّلامُ أثارَ كامِنَ دائي

يا ساقِيَيَّ عَلَيَّ بالصَّهباءِ

بالكاس أو بالطّاس أو بآثنَيْهما

أو بالدِّنان فإنّ فيه شِفائي

مَشْمُولة لولا التُّقَى لعَجِبْتُ مِنْ

تَحْرِيمِها والذَّنْبُ للقُدَماءِ

قَرِبُوا الصَّلاةَ وهُم سُكارى بعدَما

نَزَلَ الكِتابُ بحِكْمَةٍ وجَلاءِ

يا زَوْجَةَ ابن المُزْن يا أُخْتَ الهَنا

يا ضَرّةَ الأحزان في الأحشاءِ

يا طِبَّجالِينُوسَ في أنْواعِه

مالي أراكِ كثيرةَ الأعداءِ

عَصَرُوكِ مِنْ خَدَّيْ سُهَيْلٍ خُلْسَةً

ثم اختَبَأتِ بمُهجَةِ الظَّلماءِ

فلَبِثتِ فيها قبلَ نُوحٍ حِقبَةً

وتَداوَلَتْكِ أنامِلُ الآناءِ

حتَّى أتاحَ اللهُ أنْ تَتَجَمّلي

بيَدِ الكريمِ وراحَةِ الأدباءِ

يا صاحبي كيفَ النُّزُوعُ عن الطّلا

ولقد بُلِيتُ مِن الهُموم بداءِ

واللَّيْلُ أرْشَدَهُ أبُوهُ لِشَقْوَتِي

وكذا البَنُونَ على هَوَى الآباءِ

أَلَّفتُ بين ابن السَّحابِ وبينَها

فرأيتُ صَحّةَ ما حَكاهُ الطّائي

صَعُبَتْ وراضَ المَزْجُ سيءَ خُلْقِها

فتَعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلْقِ الماءِ

أوشَكَ الدِّيكُ أن يَصيحَ ونَفسي

أوشَكَ الدِّيكُ أن يَصيحَ ونَفسي

بين هَمٍّ وبين ظَنٍّ وحَدسِ

يا غلامُ، المُدامَ والكاسَ، والطّا

سَ، وهَيِّءْ لَنا مَكاناً كأمْسِ

أطلِقْ الشمسَ من غَياهِبِ هذا الدَّ

نِّ وامَلأ من ذلك النُّورِ كأسي

وأذنِ الصُّبْحَ أنْ يَلُوحَ لعَيْنِي

من سَناها فذاكَ وَقتُ التَّحَسِّي

وادْعُ نَدمانَ خَلوتي وائتِناسي

وتَعَجَّلْ واسْبِلْ سُتُورَ الدِّمَقْسِ

واسقِنا يا غُلامُ حتّى تَرانا

لا نُطِيقُ الكَلامَ إلاّ بهَمْسِ

خَمرةً قيلَ إنّهم عصَرُوها

من خُدودِ المِلاحِ في يَومِ عُرسِ

مُذْ رآها فَتَى العَزيزِ مَناماً

وهو في السِّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ ويَأسِ

أعْقَبَتْهُ الخَلاصَ مِنْ بَعْدِ ضيقٍ

وحَبَتْهُ السُّعودَ من بَعدِ نَحسِ

يا نَديمِي باللهِ قُل لِي لِماذا

هَذه الخَنْدَريسُ تُدْعَى برجْسِ؟

هيَ نَفْسٌ زَكيَّةٌ وأبُوها

غَرسُه في الجِنانِ أكرَمُ غَرسِ

هيَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ أخْلا

قِ المُولجِيِّ في صَفاءٍ وأُنسِ

خَصّه اللهُ حيثُ يُصْبِحُ بالإقـ

ـبالِ، والعِزِّ والعُلا، حيثُ يُمسي

وفِتيان أنسٍ أقسَمُوا أن يُبَدِّدُوا

وفِتيان أُنسٍ أقسَمُوا أن يُبَدِّدُوا

جُيوشَ الدُّجى مابينَ أنسٍ وأفراح

فهَبُّوا إلى خَمّارَةٍ قيلَ إنّها

قَعيدَةُ خَمرٍ تَمزُجُ الرُّوحَ بالرّاح

وقالوا لها : إنّا أتَيْنا على ظَمأ

نُحاولُ وِردَ الرّاح رَغماً عن اللاّحي

فقامت وفي أجْفانِها كَسَلُ الكَرَى

وفي ردْفِها واستَعْرَضَتْ جَيْشَ أقْداح

مَرَّتْ كعُمْرِ الوَرْدِ بَيْنا أجْتَلِي

مَرَّتْ كعُمْرِ الوَرْدِ بَيْنَا أجْتَلِي

إصباحَهاإذْ آذَنَتْ برَواح

لم أقضِ من حَقِّ المُدامِ ولم أقُمْ

في الشّارِبين بواجبِ الأقداح

والزَّهْرُ يَحْتَثُّ الكُئُوسَ بلَحْظِه

ويَشُوبُها بأريجِه الفَيَّاح

أخشى عَواقِبَها وأغبطُ شَرِبَها

وأُجيدُ مِدحَتَها مع المُدَّاح

وأمِيلُ مِنْ طَرَبٍ اذا مالَتْ بهِمْ

فاعَجبْ لنَشْوَان الجَوانِح صاحِي

أستَغفِرُ اللهَ العَظيمَ فإنّني

أفسَدْتُ في ذاكَ النَّهارِ صَلاحِي

خَمرَةٌ في بابلٍ قد صُهرجَتْ

خَمرَةٌ في بابلٍ قد صُهرجَتْ

هكذا أخْبَرَ حاخَامُ اليَهُودْ

أوْدَعُوها جَوفَ دَنٍّ مُظلِمٍ

ولَدَيْه بَشَّرُوها بالخُلُودْ

سألوا الكُهّانَ عن شاربِها

وعَن السَّاقي وفي أيِّ العُهُودْ؟

فأجابُوهُم: فَتىً ذو مِرَّةٍ

من نَبي مِصرٍ له فَضلٌ وجُودْ

مُغْرَمٌ بالعُودِ والناي مَعاً

مُولَعٌ بالشُّربِ والناسُ هُجُودْ

هَمُّه قَصدُ دِنانٍ ونَدىً

وأبوهُ هَمُّه جَمْعُ النُّقُودْ

فِتَيةَ الصَّهباءِ خيرَ الشَّاربينْفِتَيةَ الصَّهباءِ خيرَ الشَّاربينْ

فِتَيةَ الصَّهباء خيرَ الشَّاربينْفِتَيةَ الصَّهباء خيرَ الشَّاربينْ

جَدِّدُوا باللهِ عَهْدَ الغائِبينْ

واذكُرُوني عند كاساتِ الطِّلا

إنّني كنتُ إمامَ المُدمِنينْ

وإذا ما استَنْهَضَتْكُم ليلةً

دَعَوةُ الخَمرِ فَثُورُوا أجمَعينْ

رُبَّ لَيْلٍ قد تَعاهَدْنا عَلى

ما تَعَاهَدْنَا وكُنّا فاعِلِينْ

فقَضَيْناهُ ولم نَحفِلْ بما

سَطَّرَتْ أيْدِي الكِرامِ الكاتِبِينْ

بين أقداحٍ ورَاحٍ عُتِّقَتْ

ورَياحينٍ وولدانٍ وعِينْ

وسُقاةٍ صَفَّقَتْ أكوابَها

بَعْضُها البَلُّورُ والبَعْضُ لُجَيْنْ

آنَسَتْ مِنّا عِطاشاً كالقَطا

صادَفَتْ وِرداً به ماءٌ مَعينْ

فمَشَتْ بالكاسِ والطاسِ لَنا

مِشْيَةَ الأفراحِ للقَلْبِ الحَزِينْ

وتَوائَبنا إلى مَشْمُولَةٍ

ذاتِ ألوانٍ تَسُرّ الناظِرِينْ

عَمَدَ السّاقي لأنْ يَقتُلَها

وهيَ بكرٌ أحصَنَتْ مندُ سِنِينْ

ثمَّ لمَّا أنْ رأى عِفَّتَهَا

خافَ فيها الله رَبَّ العالَمينْ

وأجَلْنَا الكاسَ فيما بيننَا

و علَى الصَّهباءِ بتنَا عاكفينْ

وشَفَينا النَّفسَ من كلِّ رَشاً

نَطَقَتْ عَيناهُ بالسِّحرِ المُبينْ

وطوَى مَجْلِسنَا بعدَ الهَنا

وانشراحِ الصَّدْرِ تكبيرُ الأذِينْ

هكذا كُنّا بأيّامِ الصَّفا

نَنْهَبُ اللذّاتِ في الوقتِ الثَّمينْ

ليتَ شِعري هل لنا بعدَ النَّوى

مِنْ سبيلٍ للقّا أمْ لاتَ حِينْ

يأيُّهَا الحُبُّ امتزجْ بالحشَى

يأيُّهَا الحُبُّ امتزجْ بالحشَى

فإنْ في الحُبِّ حياةِ النُّفوسْ

واسلُلْ حَياةً من يَمينِ الرَّدى

أوشَكَ يَدعُونا ظَلامُ الرُّموسْ

تَمَثَّلِي إنْ شئتِ في مَنْظر

تَمَثَّلِي إنْ شئتِ في مَنْظَرِ

يا جُولِيا أنكِرُ فيه الغَرامْ

أو فابعثِي قلْباً إلى أضْلُعِ

راحَ به الوجدُ وأودَى السَّقامْ

غُضِّي جُفُونَ السِّحر أو فارحَمي

غُضِّي جُفُونَ السِّحرِ أو فارحَمي

متيماً يخشَى نِزَالَ الجُفُونْ

ولاَ تَصُولِي بالقوامِ الدَّي

تَميسُ فيه يا مُنايَ المَنُونْ

إنِّي لأدري منكِ مَعنى الهَوى

يا جُوليا والناسُ لا يَعرفُونْ

ومِن عَجَبٍ قد قَلَّدُوكَ مُهَنَّداً

ومِن عَجَبٍ قد قَلَّدُوكَ مُهَنَّداً

وفي كلِّ لَحْظٍ منكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

إذا أنتَ قدْ جَرَّدْتَهُ أوْ غَمَدْتَهُ

قَتَلتَ به واللَّحظُ لا يَتَعَمَّدُ

أنا العاشِقُ العاني وإن كنتَ لا تَدري

أنا العاشِقُ العاني وإن كنتَ لا تَدري

أعيذُكَ من وَجدٍ تَغَلْغَلَ في صَدري

خليليَ هذا اللَّيلُ في زيِّهِ أتَى

فقمْ ناتمسْ للسُّهدِ دِرْعاً مِنَ الصَّبرِ

وهذا السُّرَى نحوَ الحِمَى يستفزُّنَا

فهَيَّا وإن كُنّا على مَركَبٍ وَعْرِ

خليليَ هذا اللَّيلُ قدْ طالَ عُمْرُهُ

وليسَ لهُ غيرُ الأحاديثِ والذِّكْرِ

فهاتَ لنَا أذْكَى حَديثٍ وَعَيْتَهُ

ألَذُّ به إنّ الأحاديث كالخَمرِ

قالتْ الجوزاءُ حينَ رأتْ

قالتْ الجوزاءُ حينَ رأتْ

جَفنَه قد واصَلَ السَّهَرا

ما لهذا الصَّبِّ في وَلَهٍ

أتُراهُ يعشَق القَمَرا

ظَبْيَ الحِمَى باللهِ ما ضَرَّكَا

ظَبْيَ الحِمَى باللهِ ما ضَرَّكَا

إذا رأينا في الكَرَى طَيفَكا

وما الذي تَخشاهُ لو أنّهم

قالوا فُلانٌ قد غَدا عَبدَكا

قد حَرَّمُوا الرِّقَّ ولكنّهم

ما حَرَّمُوا رِقَّ الهَوَى عِنْدَكَا

وأصبَحَتْ مِصرُ مُراحاً لهم

وأنتَ في الأحشا مُراحٌ لكا

ما كان سهلاً أن يَرَوْا نِيلَها

لو أنّ في أسيافِنا لَحظَكا

سألتُه ما لهذا الخالِ مُنفَرداً

سألتُه ما لهذا الخالِ مُنفَرداً

واختارَ غُرَّتَكَ الغَرَّا له سَكَنَا

أجابنِي:خافَ مِنْ سَهْمِ الجفُونِ ومِنْ

نارِ الخدودِ,لِهذا هاجَرَ الوَطَنَا

سائِلُوا اللَّيْلَ عنهمُ والنَّهارَا

سائِلُوا اللَّيْلَ عنهمُ والنَّهارَا

كيف باتَتْ نِساؤُهُمْ والعَذارَى

كيف أمْسَى رَضِيعُهُمْ فَقَدَ الأ

مَّ وكيف اصْطَلَى مع القَوْمِ نارَا

كيف طاحَ العَجُوزُ تحتَ جِدارٍ

يَتَداعى وأسْقُفٍ تَتَجارَى

رَبِّ إنّ القَضاءَ أَلْحَى عليهم

فاكشف الكَربَ واحجُبِ الأقْدارَا

ومُرِ النّارَ أنْ تَكُفَّ أذاها

ومُرِ الغَيْثَ أنْ يَسِيلَ انْهمارا

أينَ طُوفانُ صاحِبِ الفُلْكِ يَروي

هذِه النّارَ؟فهي تَشْكُو الأوَارا

أشْعَلَتْ فَحْمَةَ الدَّياجِي فباتَتْ

تَملأ الأرضَ والسَّماءَ شَرارا

غَشِيَتْهُمْ والنَّحْسُ يَجْري يَميناً

ورَمَتهُم والبُؤْسُ يَجري يَسارا

فأغارَتْ وأوْجُهُ القَومِ بيضٌ

ثمّ غَارَتْ وقد كَسَتْهُنَّ قارا

أكَلَتْ دُورَهُمْ فلّما استَقَلَّتْ

لم تُغادِرْ صِغارَهُم والكِبارا

أخرَجَتهُم من الدِّيارِ عُراةً

حَذَرَ الموتِ يطلبونَ الفِرارا

يَلْبَسُونَ الظَّلامَ حتَّى إذا ما

أقبلَ الصُّبحُ يَلبَسون النَّهارا

حُلَّة لا تَقيهمُ البَردَ والحَـ

ـرَّ ولا عنهُمُ تردُّ الغُبارا

أيها الرَّافِلون في حُلَلِ الوَشْـ

ـي يجُرُّونَ للذُّيولِ افْتِخارا

إنّ فوقَ العَراءِ قوماً جياعاً

يَتوارَونَ ذِلَّةً وانكِسارا

ايُّهذا السَّجينُ لا يمْنَع السِّجْـ

ـنُ كريماً مِن أنْ يُقيلَ العِثارا

مُرْ بألفٍ لهم وإنْ شِئْتَ زِدْها

وأجِرْهُم كما أجَرَتَ النَّصارى

قد شَهِدْنا بالأمس في مِصرَ عُرساً

مَلأ العَينَ والفُؤادَ ابْتِهارا

سالَ فيه النُّضارُ حتى حَسِبنا

أنّ ذاك الفِناءَ يجري نُضارا

باتَ فيه المُنَعَّمونَ بليلٍ

أخْجَلَ الصُّبْحَ حُسْنُه فتَوارَى

يَكْتَسُون السَرورَ طوْراً وطوْراً

في يَد الكَأس يَخْلَعُون الوَقارا

وسَمِعْنا في ميت عَمْرٍ صِياحاً

مَلأ البَرَّ ضَجّةً والبحارا

جَلَّ مَن قَسَّمَ الحُظوظ فهذا

يَتَغَنَّى وذاكَ يَبكي الدِّيارا

رُبَّ لَيْلٍ في الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْساً

وسُعوداً وعُسْرَةً ويَسارا

أَلْبَسُوكِ الدِّماءَ فَوْقَ الدِّماءِ

أَلْبَسُوكِ الدِّماءَ فَوْقَ الدِّماءِ

وأرَوْكِ العِداءَ بعد العِداءِ

فلَبِسْتِ النَّجيعَ منْ عهدِ قابيـ

ـلَ وشاهَدتِ مَصرَعَ الأبرياءِ

فلكِ العُذرُ إن قَسَوتِ وإن خُنْـ

ـتِ وإن كنتِ مَصدراً للشَّقاءِ

غَلِطَ العُذْرُ،ما طَغَى جَبَلُ النَّا

رِ بإرْسالِ نَفْثَةٍ في الهَواءِ

أحرَجُوا صَدرَ أُمِّهِ فأراهُمْ

بعضَ ما أضْمرَتْ مِنَ البُرَحاءِ

اسْخَطُوهَا فصابَرَتْهُمْ زَماناً

ثمّ أنحَتْ عليهمُ بالجَزاءِ

أيّها الناسُ إنْ يكُنْ ذاكَ سُخْطُ الـ

أرْضِ ماذا يكونُ سُخْطُ السَّماءِ؟

إنّ في عُلْوِ مَسْرحاً للمقاديـ

ـرِ وفي الأرضِ مَكْمَناً للقَضاءِ

فاتّقوا الأرْضَ والسَّماءَ سَواءً

واتّقوا النارَ في الثَّرى والفَضاءِ

رَجَعْتُ لنفْسِي فاتَّهمتُ حَصاتِي

رَجَعْتُ لنفْسِي فاتَّهمتُ حَصاتِي

وناديْتُ قَوْمِي فاحْتَسَبْتُ حياتِي

رَمَوني بعُقمٍ في الشَّبابِ وليتَني

عَقِمتُ فلم أجزَعْ لقَولِ عِداتي

وَلَدتُ ولمَّا لم أجِدْ لعرائسي

رِجالاً وأكفاءً وَأَدْتُ بناتِي

وسِعتُ كِتابَ اللهِ لَفظاً وغايةً

وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعِظاتِ

فكيف أضِيقُ اليومَ عن وَصفِ آلةٍ

وتَنْسِيق أسماءٍ لمُخْتَرَعاتِ

أنا البحر في أحشائه الدر كامن

فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

فيا وَيحَكُم أبلى وتَبلى مَحاسِني

ومنْكمْ وإنْ عَزَّ الدّواءُ أساتِي

فلا تَكِلُوني للزّمانِ فإنّني

أخافُ عليكم أن تَحينَ وَفاتي

أرى لرجالِ الغَربِ عِزّاً ومَنَعَةً

وكم عَزَّ أقوامٌ بعِزِّ لُغاتِ

أتَوْا أهلَهُم بالمُعجِزاتِ تَفَنُّناً

فيا ليتَكُمْ تأتونَ بالكلِمَاتِ

أيُطربُكُم من جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ

يُنادي بوَأدي في رَبيعِ حَياتي

ولو تَزْجُرونَ الطَّيرَ يوماً عَلِمتُمُ

بما تحتَه مِنْ عَثْرَةٍ وشَتَاتِ

سقَى اللهُ في بَطْنِ الجزيرةِ أعْظُماً

يَعِزُّ عليها أن تلينَ قَناتِي

حَفِظْنَ وِدادِي في البلى وحَفِظْتُه

لهُنّ بقلبٍ دائمِ الحَسَراتِ

وفاخَرْتُ أهلَ الغَرْبِ والشرقُ مُطْرِقٌ

حَياءً بتلكَ الأعْظُمِ النَّخِراتِ

أرى كلَّ يومٍ بالجَرائِدِ مَزْلَقاً

مِنَ القبرِ يدنيني بغيرِ أناةِ

وأسمَعُ للكُتّابِ في مِصرَ ضَجّةً

فأعلَمُ أنّ الصَّائحِين نُعاتي

أيهجُرنِي قومِي-عفا الله عنهمُ

إلى لغةٍ لمْ تتّصل برواةِ

سَرَتْ لُوثَةُ الافْرَنج فيها كمَا سَرَى

لُعابُ الأفاعي في مَسيلِ فُراتِ

فجاءَتْ كثَوْبٍ ضَمَّ سبعين رُقْعةً

مشكّلةَ الألوانِ مُختلفاتِ

إلى مَعشَرِ الكُتّابِ والجَمعُ حافِلٌ

بَسَطْتُ رجائِي بَعدَ بَسْطِ شَكاتِي

فإمّا حَياةٌ تبعثُ المَيْتَ في البلى

وتُنبتُ في تلك الرُّمُوسِ رُفاتي

وإمّا مَماتٌ لا قيامَةَ بَعدَهُ

مماتٌ لعَمْري لمْ يُقَسْ بمماتِ

حَطمْتُ اليَراعَ فلا تَعْجَبي

حَطمْتُ اليَراعَ فلا تَعْجَبي

وعِفتُ البَيانَ فلا تَعتُبي

فما أنتِ يا مصرُ دارَ الأديبِ

ولا أنتِ بالبَلَدِ الطَّيِّبِ

وكمْ فيكِ يَا مصرُ مِنْ كاتبٍ

أقالَ اليَراعَ ولم يَكتُبِ

فلا تُعذُليني لهذا السكوت

فقد ضاقَ بي منكِ ما ضاقَ بي

أيُعجِبُني منكِ يومَ الوفاق

سُكوتُ الجَمادِ ولِعْبُ الصَّبي

وكم غَضب الناسُ من قبلِنا

لسَلبِ الحُقوق ولمْ نغضَبِ

ويُهضَمُ فينا الإمامُ الحَكيم

إلا بجامعةً موصولةَ السّبَبِ

إلى أمينٍ فلمْ يُحجِمْ ولمْ يهبِ

وبيِّنوا لرجال الغَربِ أنّكمُ

إذا طلبتُمْ بلغْتُمْ غايةِ الطَّلبِ

وَثابةٍ لا تُبالِي همّةَ النُّوَبِ

ونحن على العيش لم نَدْأبِ

لا نحنُ مَوْتى ولا الأحياءُ تُشْبِهنا

كأننا فيكِ لمْ نشهدْ ولمْ نَغِبِ

نبكِي على بلدٍ سال النضار به

وعَدُّوا عليه من السَّيِّئات

لمِصرَ أم لرُبُوع الشَّأمِ تَنْتَسِبُ

لمِصرَ أم لرُبُوع الشَّأمِ تَنْتَسِبُ

هُنا العُلا وهُناكَ المجدُ والحَسَبُ

رُكْنان للشَّرْق لا زالتْ رُبُوعُهُما

قَلْبُ الهلالِ عليها خافِقٌ يَجِبُ

خِدْران للضّادِ لم تُهْتَكْ سُتُورُهُما

ولا تَحَوَّلَ عن مَغْناهُما الأدَبُ

أمُّ اللُّغاتِ غَداةَ الفَخْرِ أمُّهُما

وإنْ سَألْتَ عن الآباءِ فالعَرَبُ

أيَرْغَبانِ عن الحُسْنَى وبَيْنَهُما

في رائِعاتِ المَعالي ذلك النَّسَبُ

ولا يَمُتّانِ بالقُربى وبينَهُما

تلكَ القَرابةُ لمْ يُقْطَعْ لها سَبَبُ؟

إذا ألَمَّتْ بوادي النِّيلِ نازِلَةٌ

باتَتْ لها راسِياتُ الشّأمِ تَضطَرِبُ

وإنْ دَعَا في ثَرَي الأهْرامِ ذُو ألَمٍ

أجابَهُ في ذُرَا لُبْنانَ مُنْتَحِبُ

لو أخْلَصَ النّيلُ والأرْدُنُّ وُدَّهما

تَصافَحَتْ منهما الأمْواهُ والعُشُبُ

بالوادِيَيْنِ تَمَشَّى الفَخرُ مِشيَتَه

يَحُفُّ ناحيَتَيْه الجُودُ والدَّأبُ

فسالَ هذا سَخاءً دونَه دِيَمٌ

وسالَ هذا مَضاءً دونَه القُضُبُ

نسيمَ لُبنانَ كم جادَتْكَ عاطِرَةٌ

من الرِّياضِ وكم حَيّاكَ مُنْسَكِبُ

في الشَّرقِ والغَربِ أنفاسٌ مُسَعَّرَةٌ

تَهْفُو إليكَ وأكبادٌ بها لَهَبُ

لولا طِلابُ العُلا لم يَبتَغُوا بَدَلاً

من طِيبِ رَيّاكَ لكنّ العُلا تَعَبُ

كم غادَةٍ برُبُوعِ الشّأمِ باكيَةٍ

على أليفٍ لها يَرْمِي به الطَّلَبُ

يَمْضِي ولا حِيلَةٌ إلاّ عَزِيمَتُه

ويَنثَني وحُلاهُ المَجدُ والذَّهَبُ

يَكُرُّ صَرفُ اللَّيالي عنه مُنقَلِباً

وعَزْمُه ليسَ يَدْري كيفَ يَنْقَلِبُ

بأَرْضِكُولُمْبَأَبْطالٌ غَطارِفَةٌ

أسْدٌ جِياعٌ إذا ما وُوثِبُوا وَثَبُوا

لَم يَحْمِهِمْ عَلَمٌ فيها ولا عُدَدٌ

سوى مَضاءٍ تَحامَى وِرْدَهُ النُّوَب

أسطُولُهُمْ أمَلٌ في البَحرِ مُرتَحِلٌ

وجَيْشُهُمْ عَمَلٌ في البَرِّ مُغْتَرِبُ

لهم بكُلِّ خِضَمٍّ مَسرَبٌ نَهَجٌ

وفي دُرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلَكٌ عَجَبُ

لَمْ تَبْدُ بارِقَةٌ في أفْقِ مُنْتَجَعٍ

إلاّ وكان لها بالشامِ مُرتَقِبُ

ما عابَهُم انّهُم في الأرضِ قد نُثِرُوا

فالشُّهبُ مَنثُورَةٌ مُذ كانت الشُّهُبُ

ولَمْ يَضِرْهُمْ سُرَاءَ في مَناكِبِها

فكلّ حَيٍّ له في الكَوْنِ مُضْطَرَبُ

رَادُوا المَناهِلَ في الدُّنْيا ولو وَجَدُوا

إلى المَجَرَّةِ رَكباً صاعِداً رَكِبُوا

أو قيلَ في الشمسِ للرّاجِينَ مُنْتَجَعَ

مَدُّوا لها سَبَباً في الجَوِّ وانتَدَبُوا

سَعَوا إلى الكَسْبِ مَحْمُوداً وما فَتِئَتْ

أمُّ اللُّغاتِ بذاكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ

فأينَ كان الشَّآمِيُّونَ كان لها

عَيْشٌ جَدِيدٌ وفَضْلٌ ليسَ يَحْتَجِبُ

هذي يَدي عن بني مِصرٍ تُصافِحُكُم

فصافِحُوها تُصافِحْ نَفسَها العَرَبُ

فما الكِنانَةُ إلاّ الشامُ عاجَ على

رُبُوعِها مِنْ بَنِيها سادَةٌ نُجُبُ

لولا رِجالٌ تَغالَوا في سِياسَتِهم

مِنّا ومِنْهُمْ لَمَا لَمُنْا ولا عَتَبُوا

إنْ يَكْتُبوا لِيَ ذَنْباً في مَوَدَّتِهِمْ

فإنّما الفَخْرُ في الذَّنْبِ الذي كَتَبُوا

حَيّاكُمُ اللهُ أحْيُوا العِلْمَ والأدَبا

حَيّاكُمُ اللهُ أحْيُوا العِلْمَ والأدَبا

إنْ تَنْشُرُوا العِلْمَ يَنْشُرْ فيكُم العَرَبا

هذا صبيٌّ هائِمٌ

تحتَ الظَّلامِ هُيامَ حائرْ

ولا حَياة لكمْ إلاّ بجامِعَةٍ

تكونُ أمًّا لطُلاّبِ العُلاَ وأبَا

تَبْنِي الرِّجالَ وتَبنِي كلَّ شاهِقَةٍ

مِنَ المَعالِي وتَبْنِي العِزَّ والغَلَبا

ضَعُوا القُلُوبَ أساساً لا أقولُ لكمْ

ضَعُوا النُّضارَ فإنِّي أصْغِرُ الذَّهَبا

وابْنُوا بأكْبَادِكُمْ سُوراً لها وَدَعُوا

قيلَ العَدُوِّ فإنِّي أعْرِفُ السَّبَبَا

لا تَقْنَطُوا إنْ قَرَأتُمْ ما يُزَوِّقُه

ذاكَ العَمِيدُ ويَرْمِيكُمْ به غَضَبا

إنِّي أعُذُ ضُلُوعَه

لولا عُيونُكِ- حُجّةٌ لا تُفْحَمُ-

وراقِبُوا يومَ لا تُغني حَصائِدُه

فكلُّ حَيٍّ سيُجْزَى بالّذي اكتَسَبا

أبصرتُ هيكلَ عظمهِ

تَأسُو القُلوبَ فإنّ رَأيَكَ أحْكَمُ

بَنَى على الإفْكِ أبْرَاجاً مُشَيَّدَةً

فابْثُوا على الحَقِّ بُرجاً يَنطحُ الشُّهُبا

وجاوبُوه بفِعْلٍ لا يُقَوِّضُه

قُوْلُ المُفَنِّدِ أنَّى قال أو خَطَبا

لا تَهْجَعُوا إنّهمْ لَنْ يَهْجَعُوا أبداً

وطالِبُوهُمْ ولكنْ أجمِلُوا الطَّلَبا

يَخُورُ خازِنُكُم في عَدِّها تَعَبا

قالوا: حَكَمتَ بما لا تستطيعُ له

حَملاً نَكادُ نَرَى ما قُلتَه لَعِبا

دارُ الخلافةِ والمليكُ الأعظمُ

ودَعَا لَكَ البَيْتُ الحرامُ فأمَّنَتْ

بَطْحاءُ مَكَّةَ والحَطِيمُ وزَمْزَمُ

حُرِ مَنْ وَنَى لاَ شكَّ خاسرْ

وَهْمٌ أغارَ على النُّهَى وأضَلَّها

فَجَرى الغَبِيُّ وأقْصَرَ المُتَعَلِّمُ

أجادَ مَطْرانُ كعاداته

أجادَ مَطْرانُ كعاداته

وهكذا يُؤْثَرُ عَنْ قُسِّ

فإنْ أقِفْ مِنْ بَعْدِه مُنْشِداً

فإنّما مِنْ طِرْسِه طِرْسي

رَثَى حَبِيباً وَرَثَى بَعْدَه

لذلِكَ المُوفي على الرَّمْس

كانَا إذا ما ظَهَرا مِنْبَراً

حَلاَ مِنَ السّامِعِ في النَّفْس

فأصْبَحَا هذا طَواهُ الرَّدَى

وذاكَ نَهْبٌ في يَدِ البُؤْس

لولا سَلِيمٌ لَم يَقُلْ قائِلٌ

ولَمْ يَجُدْ مَنْ جادَ بالأمْس

للهِ ما أشْجَعَه إنّه

ذُو مِرَّةٍ فِينَا وذُو بَأْس

يَقُومُ في مَشْرُوعِهِ نافِذاً

كأنّهعَنْتَرَةُ العَبْسِي

تَلْقاهُ في الجِدِّ كما تَبْتَغِي

وتارَةً تَلْقاهُ في الهَلْس

سَرْكِيسُ إنْ راقَكَ ما قُلْتُه

في مَعْرِض الهَزْل فَقُلْ مِرْسِيٌّ

أقْسِمُ باللّهِ وآلائِه

بعَرْشِه باللَّوْح بالكُرْسِي

بالخُنَّس الكُنَّس في سَبْحِها

بالبَدْرِ في مَرْآهُ بالشَّمْسِ

بأنّ هذا عَمَلٌ صالحٌ

قامُ به هَذا الفَتَى القُدْسِي

ذَكَّرَنا والمَرْءُ مِنْ نَفْسِه

وعَيْشِه في شاغِلٍ يُنْسِي

بالواجِبِ الأقْدَسِ في حَقِّ مَنْ

باعَتْه مِصْرٌ بَيْعَةَ الوَكْسِ

هذاأبُوا العَدْلِفمَنْ خالَه

حَياً فما خَالَ سِوَى العَكْسِ

كانت له في حَلْقِه تَرْوَةٌ

مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجي ومِنْ جَرْسِ

فغالَها الدَّهْرُ كما غَالَه

حتّى غَدَا كالطَّلَلِ الدَّرْسِ

فاكتَسِبُوا الأجْرَ ولا تَبْتَغُوا

شِراءَه بالثَمَنِ البَخْسِ

إنِّي أرى التَّمْثِيلَ في غَمْرَةٍ

غامِرَةٍ تَدْعُو إلى اليَأْسِ

لَم يَرْمِه في شَرْخِه ما رَمى

لو كان مَبْنِياً على أُسٍّ

أكُلَّما خَفَّتْ به صَحْوَةٌ

مِنْ دائِه عُوجِلَ بالنَّكْسِ

إنْ تُغْفِلُوا دارسَ آثارِه

عَفَّى عَلَيْها الدُّهْرُ بالطَّمْسِ

أعْجَزَها النُّطْقُ فجاءَتْ بنا

تَنُوبُ عنْ أَلْسُنِها الخُرْسِ

لا أبالِي أذى العدوِّ فحُطْنِي

لا أبالِي أذى العدوِّ فَحُطْنِي

انتَ يا رَبِّ منْ ولاءِ الصَّديق

أيُّهَا الوَسميُّ زُرْ نبتَ الرُّبَا

أيُّهَا الوَسميُّ زُرْ نبتَ الرُّبَا

واسبق الفَجْرَ إلى رَوْضِ الزَّهَرْ

حَيِّهِ وانثرْ على أكمامِه

منْ نطافِ الماءِ أشباهَ الدُّرَرْ

أيُّها الزَّهْرُ أفِقْ مِنْ سِنَةٍ

واصطَبِحْ مِنْ خَمْرَةٍ لَم تُعْتَصرْ

منْ رحيقٍ أمُّه غاديةٌ

ساقَهَا تحتَ الدُّجَى روحُ السَّحَرْ

وانفحِ الرَّوضَ بنشرٍ طيِّبٍ

عَلَّه يُوقِظُ سُكّانَ الشَّجَرْ

إنَّ بي شوقاً إلَى ذِي غُنَّةٍ

يُؤْنِسُ النَّفْسَ وقدْ نامَ السَّمَرْ

إيهِ يا طَيْرُ ألاَ مِنْ مُسْعِدٍ

إنّني قد شَقَّني طُولُ السَّهَرْ

قُمْ وصَفِّقْ واستَحِرْ واسجَعْ وبُحْ

وارو عنْ إسحاقَ مأثورَ الخبرْ

ظَهَرَ الفَجْرُ وقد عَوَّدْتَني

أنْ تُغَنِّينِي إذا الفَجْرُ ظَهَرْ

غَنِّني كَمْ لكَ عِندي مِنْ يَدِ

سَرَّتِ الأشْجانَ عَنِّي والفِكَرْ

اخْرِق السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَأٍ

خَرَقَ السَّمعَ فأدمَى فوَقَرْ

كُلَّ يَوْمٍ نَبْأةٌ تَطْرُقُنا

بعجيبٍ منْ أعاجيبِ العِبَرْ

أممٌ تفنَى وأركانٌ تهي

وعُرُوشٌ تتهاوَى وسُرُرْ

وجُيُوشٌ بجيوشٍ تلتقِي

كسُيُولٍ دَفَقَتْ في مُنْحَدَرْ

ورجالٌ تتبارَى للرَّدَى

لا تُبالي غابَ عنها أمْ حَضَرْ

منْ رآهَا في وغَاهَا خالهَا

صِبْيَةً خَفَّتْ إلى لِعبِ الأكَرْ

وحُرُوبٌ طاحِناتٌ كلَّما

أُطْفئتْ شَبَّ لَظاها واسْتَعَرْ

ضَجَّتِ الأفْلاكُ مِنْ أهْوالِها

واستعاذَ الشمسُ منهَا والقَمَرْ

في الثَّرَى في الجَوِّ في شُمِّ الذُّرَا

في عُبابِ البَحْرِ ، في مَجْرَى النَّهَرْ

أسرفتْ في الخلق حتَّى أوشكوُا

أنْ يبيدُوا قبلَ ميعادِ البَشَرْ

فاصْمِدوا ثمَّ احمدُوا اللَّه عَلَى

نِعْمَةَ الأمْنِ وطِيبِ المُسْتَقَرّ

نعمة الأمن وما أدراكَ ما

نِعمة الأمن إذا الخطبُ اكفهرْ

واشْكُروا سُلْطانَ مِصْرٍ واشكُرُوا

صاحبَ الدّولة محمودَ الأثَرْ

نحن في عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَه

أممٌ في الغربِ أشقاهَا القدَرْ

تَتَمَنَّى هَجْعَةً في غِبْطَةٍ

لمْ تُساوِرْهَا اللَّيالِي بالكَدَرْ

إنّ في الأزْهَرِ قوماً نالَهُمْ

مِنْ لَظَى نِيرانِها بَعْض الشَّرَرْ

-أصْبَحُوا - لا قَدَّرَ اللهُ لنا

في عناءٍ وشقاءٍ وضجرْ

نُزلاءٌ بينَنَا إنْ يُرْهَقُوا

أوْ يُضامُوا إنّهَا إحدَى الكُبَرْ

فأعينُوهُمْ فهُمْ إخْوانُكُمْ

مُسَّهُمْ ضُرٌّ ونابَتْهُمْ غيَرْ

أقْرِضُوا اللهَ يُضاعِفْ أجْرَكُمْ

إنّ خَيْرَ الأجْرِ أجْرٌ مُدَّخَرْ

قَضَّيْتُ عَهْدَ حداثتِي

قَضَّيْتُ عَهْدَ حداثتِي

ما بينَ دُلٍ واغترابْ

لَم يُغن عَنّي بَينَ مَشْـ

رِقِهَا ومغْرِبهَا اضطرابْ

صَفِرَتْ يَدِي فحَوَى لها

رأسِي وجَوفِي والوطابْ

وأنا ابنُ عَشْرٍ ليس في

طَوقِي مُكافحةُ الصِّعابْ

لمْ يبقَ منْ أهلِي سِوَى

ذِكْرٍ تَناساهُ الصِّحابْ

أمْشي يُرَنِّحُني الأسَى

والبؤسُ ترنيحَ الشَّرابْ

فلكَمْ ظَلِلتُ على طَوَى

يومِي وبتُّ علَى تبابْ

والجُوعُ فَرَّاسٌ له

ظُفْرٌ يَصُولُ به ونَابْ

فكأنّه في مُهجتَي

نَصْلٌ تغلغلَ للنِّصابْ

أعِيدُوا مَجْدَنا دُنْيا ودِينَا

أعِيدُوا مَجْدَنا دُنْيا ودِينَا

ودُودُوا عن تُراثِ المُسْلِمِنَا

فمنْ يَعْنُو لغيرِ اللهِ فينا

ونحنُ بَنُو الغُزاةِ الفاتحِينَا

مَلَكْنا الأمرَ فوق الأرضِ دَهْراً

وخَلَّدْنَا علَى الأيَّامِ ذِكْرَى

أنَّى عُمَرٌ فأنسَى عدلَ كِسْرَى

كذلك كانَ عَهدُ الرَّاشِدِينا

جَبَيْنا السُّحْبَ في عَهْدِ الرَّشيدِ

وباتَ الناسُ في عيشٍ رغيدِ

وطوَّقت العَوارفُ كلَّ جِيدِ

وكان شِعارُنا رِفْقاً ولِينا

سَلُوا بغدادَ والإسلام دِين

أكانَ لها على الدُّنيا قَرينُ

رجالٌ للحوادِثِ لاَ تَلينُ

وعِلْمٌ أيَّدَ الفَتْحَ المُبينا

فلسنَا مِنهمُ والشَّرقُ عانَى

إذا لمْ نَكْفِه عَنَتَ الزَّمان

ونَرّفَعُه إلى أعْلَى مَكان

كما رَفَعُوه أو نَلقَى المَنُونا

أيُّها المُصْلِحُونَ ضاقَ بنا العَيْـ

أيُّها المُصْلِحُونَ ضاقَ بنا العَيْـ

شُ ولمْ تُحسِنُوا عليه القيامَا

عزت السِّلْعَةُ الذَّلِيلةُ حتَّى

باتَ مَسْحُ الحِذاءِ خَطْباً جُساما

وغَدَا القُوتُ في يَدِ النّاس كاليا

قُوتِ حتى نَوَى الفَقيرُ الصِّياما

يَقْطَع اليومَ طاوِياً وَلَدَيْه

دُونَ ريحِ القُتارِ ريحُ الخُزامَى

ويخالُ الرَّغيفَ منْ بَعْدِ كَدٍّ

صاحَ : مَن لي بأنْ أُصيبَ الإداما

أيّها المُصْلِحُونَ أصلْحْتُمُ الأرْ

ضَ وبتُّمْ عن النُّفوسِ نيامَا

أصلِحوا أنفُسَا أضرَّ بهَا الفقْ

رُ وأحْيا بمَوتِها الآثاما

ليس في طَوقِها الرَّحيلُ ولا الجِـ

ـدُّ ولا أن تُواصلَ الإقْداما

تُؤثِرُ الموتَ في رُبَا النِّيلِ جُوعاً

وتَرَى العارَ أنْ تَعافَ المُقاما

ورِجالُ الشَّآمِ في كُرَةِ الأرْ

ضِ يُبارُونَ في المسيرِ الغَماما

رَكِبُوا البَحْرَ ، جَاوَزُوا القُطْبَ ، فاتُوا

ويَظُنُّ اللُّحُومَ صَيْداً حَراما

يَمْتطُون الخُطُوبَ في طَلَبِ العَيـ

ـشِ ويبرونَ للنضالِ السهامَا

وبَنُو مِصْرَ في حِمَى النِّيلِ صَرْعَى

يَرْقُبونَ القَضاءَ عاماً فَعاما

أيهَا النِّيلُ كيفَ نُمسِي عِطاشاً

في بلادٍ روِّيتَ فيهَا الأوامَا

إنَّ لِينَ الطِّباعِ أورثنَا الذُّ

لَّ وأغرَى بنا الجُناةَ الطَّغاما

إنَّ طِيبَ المُناخِ جرَّعلينَا

في سَبيلِ الحَياةِ ذاكَ الزِّحاما

أيُّها المُصْلِحُونَ رِفْقاً بقَومٍ

قَيَّدَ العَجْزُ شَيْخَهُمْ والغُلاما

وأغيثُوا منَ الغَلاءِ نفوساً

قد تمنَّتْ مع الغَلاءِ الحِمامَا

أوْشَكَتْ تأكُلُ الهَبيدَ مِنَ الفَقْـ

ـرِ وكادتْ تذُودُ عنه النَّعامَا

فأعيدُوا لنَا المُكُوسَ فإنَّا

قد رأيْنا المُكُوسَ أرْخَى زِماما

ضاقَ في مصرَ قِسْمُنَا فاعذرُونَا

إنْ حَسَدْنَا علَى الجَلاَءِ الشَّآمَا

قد شَقِينا - ونحنُ كرَّمنا اللّـ

ـهُ بعَصْرٍ يُكَرِّمُ الأنعامَا

أحْياؤُنَا لاَ يُرْزَقُونَ بدرهمٍ

أحْياؤُنَا لاَ يُرْزَقُونَ بدرهمٍ

وبألفِ ألفٍ تُرْزَقُ الأمواتُ

منْ لي بحظِّ النائمين بحُفرةٍ

قامَتْ على أحْجارها الصَّلواتُ

يَسعَى الأنامُ لها ، ويَجري حَولَها

بَحْرُ النُّدُورِ وتُقرَأ الآياتُ

ويقالُ:هذا القُطْبُ بابُ المُصطفَى

ووَسِيلَةٌ تُقضَى بهَا الحاجاتُ

أخشَى مُرَبِّيَتي إذا

أخشَى مُرَبِّيَتي إذا

طَلَعَ النَّهارُ وأفزَعُ

وأظلُ بين صواحبي

لعِقابها أتَوَقَّعُ

لا الدَّمعُ يَشفَعُ لي ولا

طُولُ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ

وأخافُ والِدَتي إذا

جَنَّ الظَّلامُ وأجزعُ

وأبيتُ أرتقِبُ الجزَا

ءَ وأعْيُنِي لا تَهْجَعُ

ما ضَرَّني لو كنتُ أسْـ

تمعُ الكَلامَ وأخضعُ

ما ضَرَّنِي لو صُنْتُ أثـ

وابي فلا تتقطَّعُ

وحَفِظْتُ أوراقي بمَحْـ

فَظَتِي فلا تَتَوَزَّعُ

فأعيشُ آمِنَةً وأمْ

رَعُ في الهناء وأرتعُ

جِرابُ حَظِّي قد أفرغْتُهُ طمَعاً

جِرابُ حَظِّي قد أفرغتُهُ طمَعاً

بباب أستاذِنا الشِّيمي ولا عَجَبا

فعادَ لي وهو مَمْلُوءٌ فقلتُ له:

مِمَّا؟ فقالَ مِنَ الحَسْراتِ واحَرَبَا

سَلِيلَ الطِّين كم نِلْنا شَقَاءً

سَلِيلَ الطِّين كم نِلْنا شَقَاءً

وكمْ خَطَّتْ أنامِلُنَا ضَرِيحَا

وكمْ أزْرَتْ بنَا الأيامُ حتَّى

فَدَتْ بالكبشِ إسحاقَ الذَّبيحَا

وباعَتْ يُوسُفاً بَيْعَ المَوالي

وألْقَتْ في يَدِ القَومِ المَسيحَا

ويائُوحاً جَنَيْتَ علَى البرايَا

ولمْ تمنحهُمُ الوُدَّ الصَّحيحَا

عَلاَمَ حملتهُمْ في الفُلْكِ هَلاَّ

تَرَكْتَهُمُ فكُنْتَ لهُمْ مُرِيحَا

أصابَ رِفاقِيَ القِدحَ المُعَلَّى

وصادَفَ سَهْمِيَ القِدْحَ المَنِيحا

فلوْ ساقَ القضاءُ إليَّ نَفْعاً

لقامَ أخُوهُ مُعترضاً شَحيحا

خلقتَ لي نَفْساً فأرْصَدتَّهَا

خلقتَ لي نَفْساً فأرْصَدتَّهَا

للحُزْنِ والبَلْوَى وهذا الشَّقَاءْ

فامنُنْ بنَفْسٍ لم يَشُبْها الأسَى

لعلَّهَا تَعرفُ طعمَ الهناءْ

سَعَيْتُ إلى أنْ كِدْتُ أنْتَعِلُ الدَّما

سَعَيْتُ إلى أنْ كِدْتُ أنْتَعِلُ الدَّما

وعُدْتُ وما أعقبتُ إلاَّ التَّنَدُّمَا

لَحَى اللهُ عَهْدَ القاسِطِين الذي به

تَهَدَّمَ منْ بُنيانِنَا ما تهدَّمَا

إذا شِئْتَ أنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بينهمْ

فلا تَكُ مِصْرِيّاً ولا تَكُ مُسْلِما

سَلامٌ على الدُّنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ

رَأى في ظَلامِ القَبْرِ أُنْساً ومَغنَما

أضَرَّتْ به الأولَى فهامَ بأختها

فإنْ ساءَت الأخرَى فوَيْلاهُ مِنْهُما

فهُبِّي رياحَ الموتِ نُكباً وأطفِئي

سِراجَ حياتي قبلَ أنْ يتحطَّمَا

فما عَصَمَتنِي منْ زمانِي فضائِلِي

ولكنْ رأيتُ الموتَ للحُرِّ أعْصَما

فيا قلبُ لاَ تجزعْ إذا عَضَّكَ الأسَى

فإنكَ بعدَ اليومِ لنْ تتألَّمَا

ويا عَينُ قد آنَ الجمُودُ لمَدْمَعي

فلاَ سَيْلَ دمع تسكبين ولاَ دَمَا

ويا يَدُ ما كَلَّفْتُكِ البَسْطَ مَرَّةً

لدّي مِنَّةٍ أولَى الجَميلَ وأنعمَا

فللهِ ما أحلاكِ في أنملِ البلَى

وإنْ كُنتِ أحلَى في الطُّرُوس وأكْرَما

ويا قدمِي ما سِرْتِ بي لمَذلَّةٍ

ولمْ ترتقِي إلاّ إلى العِزِّ سُلَّمَا

فلاَ تُبطئِي سيراً إلى الموتِ واعلمِي

بأنَّ كريمَ القومِ من ماتَ مُكْرمَا

ويا نفسُ كمْ جَشَّمْتكِ الصبرَ والرضا

وجشَّمتنِي أنْ ألبَسَ المجدَ مُعلمَا

فما اسطعتِ أنْ تستمرئِي مُرَّ طعمَه

وما اسطعتُ بين القومِ أنْ أتقدَّمَا

فهذا فِراقٌ بيننَا فَتَجمَّلِي

فإنَّ الرَّدَى أحلى مذاقًا ومطعمَا

ويا صدركمْ حَلَّت بذاتكَ ضِيقةٌ

وكم جالَ في أنْحائِكَ الهَمُّ وارتَمَى

فهَلا تَرَى في ضِيقَةِ القَبْرِ فُسْحَةً

تُنَفِّسُ عنكَ الكَرْبَ إنْ بتَّ مُبْرَما

ويا قَبْرُ لا تَبْخَلْ بردِّ تَحِيّةٍ

على صاحبٍ أوْفَى علينا وسَلَّما

وهيهاتَ يأتِي الحيُّ للميتِ زائراً

فإنِّي رأيتُ الوُدَّ في الحيِّ أسْقِما

ويأيُّهَا النَّجمُ الذي طالَ سُهدُه

وقد أخَذَتْ منه السُّرَى أين يَمَّما

لعَلَّكَ لا تَنْسَى عُهودَ مُنادِمٍ

تَعَلَّمَ منكَ السُّهدَ والأينَ كُلَّمَا

ماذا أصَبْتَ مِنَ الأسفار والنَّصَبِ

ماذا أصَبْتَ مِنَ الأسفارِ والنَّصَبِ

وطَيِّكَ العُمْرَ بينَ الوَخدِ والخَبَبِ؟

نَراكَ تُطْلَبُ لا هَوْناً ولا كَثَباً

ولا نَرَى لكَ مِنْ مالٍ ولا نَشَبِ

يا آلَ عُثْمانَ ما هذا الجَفَاءُ لنا

ونَحنُ في اللهِ إخوانٌ وفي الكُتُبِ

تركتُمُونَا لأقوامٍ تُخالِفُنَا

في الدِّينِ والفَضْلِ والأخلاقِ والأدَبِ

لم يَبْقَ شَىءٌ مِن الدُّنْيا بأيْدِينا

لَم يَبْقَ شَىءٌ مِن الدُّنْيا بأيْدِينا

إلاّ بَقِيّةُ دَمْعٍ في مآقِينَا

كنّا قِلادَةَ جيدِ الدَّهْرِ فانفَرَطَتْ

وفي يَمينِ العُلا كنّا رَياحِينا

كانت مَنازِلُنا في العِزِّ شامِخةً

لا تُشْرِقُ الشَّمسُ إلاّ في مَغانينا

وكان أقْصَى مُنَى نَهْرِالمَجَرَّة لو

مِن مائِه مُزِجَتْ أقْداحُ ساقِينا

والشُهْب لو أنّها كانت مُسَخرَّةً

لِرَجْمِ من كانَ يَبْدُو مِن أعادِينا

فلَم نَزَلْ وصُرُوفُ الدَّهرِ تَرْمُقُنا

شَزْراً وتَخدَعُنا الدّنيا وتُلْهينا

حتى غَدَوْنا ولا جاهٌ ولا نَشَبٌ

ولا صديقٌ ولا خِلٌّ يُواسِينا

كم مَرَّ بي فيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أذْكُرُه

كم مَرَّ بي فيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أذْكُرُه

ومَرَّ بي فيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أنْساهُ

وَدَّعْتُ فيكِ بَقايا ما عَلِقْتُ به

مِنَ الشّباب وما وَدَّعْتُ ذِكْراهُ

أهْفُو إليه على ما أقْرَحَتْ كَبِدِي

مِنَ التَّباريح أولاهُ وأُخْراهُ

لَبِسْتُهِ ودُمُوعُ العَيْنِ طَيِّعَةٌ

والنفسُ جَيَّاشَةٌ والقَلْبُ أوّاهُ

فكان عَوْني على وَجْدٍ أُكابِدُه

ومُرٍّ عَيْشٍ على العِلاتِ ألْقاهُ

قد أرْخَصَ الدَّمْعَ يَنْبُوعُ الغَناءِ به

وا لَهْفَتِي ونُضُوبُ الشَّيْبِ أعْلاهُ

كم رَوَّحَ الدمعُ عَنْ قَلْبي وكم غَسَلَتْ

منه السَّوابِقُ حُزْناً في حناياهُ

لَم أدْرِ ما يَدُه حتى تَرَشَّفَه

فَمُ المَشِيبِ على رَغْمِي فأفْناهُ

قالوا تَحرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ المِلاحِ فعِشْ

حُراً فَفِي الأسْرِ ذُلٌّ كُنتَ تَأباهُ

فقُلْتُ يا لَيْتَه دامَتْ صَرامَتُه

ما كان أرْفَقه عندي وأحْناهُ

بُدِّلْتُ منه بقَيْدٍ لَسْتُ أقْلُه

وكيف أفْلتُ قَيْداً صاغَهُ اللهُ

أسْرَى الصَّبابَةِ أحْياءٌ وإنْ جَهدُوا

أمّا المَشِيبُ ففِي الأمْواتِ أسْراهُ

رَمَيْتُ بها على هذا التَّبابِ

رَمَيْتُ بها على هذا التَّبابِ

وما أوْرَدْتُها غيرَ السَّرابِ

وما حَمَّلْتُها إلاّ شَقاءً

تُقاضِيني به يومَ الحِسابِ

جَنَيْتُ عليكِ يا نَفْسي وقَبْلي

عليكِ جَنَى أبي فدَعي عِتابي

فلَولا أنّهم وأدُوا بَياني

بَلَغتُ بك المُنى وشَفَيْتُ ما بي

وما أعْذَرْتُ حتى كان نَعْلي

دَماً ووِسادَتي وَجْهَ التُّرَابِ

وحتى صَيَّرتْني الشمسُ عَبْداً

صَبِيغاً بَعدَ ما دَبَغَتْ إهابي

وحتى قَلَّمَ الإمْلاقُ ظُفْري

وحتى حَطَّمَ المِقْدارُ نابي

مَتَى أنا بالِغٌ يا مِصْرُ أرْضاً

أشُمُّ بتُرْبِها رِيحَ المَلابِ

رأيتُ ابنَ البُخار على رُباها

يَمُرُّ كأنَّه شَرْخُ الشَّبابِ

كأنّ بجَوْفِه أحشاءَ صَبٍّ

يُؤَجِّجُ نارَها شَوقُ الإيابِ

إذا ما لاحَ ساءَلْنا الدَّياجي

أبَرْقُ الأرْضِ أمْ بَرْقُ السَّحابِ

ما لهذا النَّجْم في السَّحَر

ما لهذا النَّجْم في السَّحَر

قد سَها مِنْ شِدّةِ السَّهَر؟

خِلْتُه يا قَوْمُ يُؤْنِسُنِي

إنْ جَفاني مُؤْنِسُ السَّحَر

يا لِقَوْمي إنّني رَجُلٌ

أفْنَت الأيّامُ مُصْطَبَري

أسْهَرَتْنِي الحادِثاتُ وقد

نامَ حتّى هاتِفُ الشَّجَر

والدُّجَى يَخْطُو على مَهَلٍ

خَطْوَ ذي عِزٍّ وذي خَفَر

فيه شَخْصُ اليَأسِ عانَقَنِي

كحَبيبٍ آبَ مِن سَفَر

وأثارَتْ بي فَوادِحُه

كامِناتِ الهَمِّ والكَدَر

وكأنّ اللَّيْلَ أقْسَمَ لا

يَنْقَضي أو يَنْقَضي عُمُري

أيُّها الزَّنْجيُّ ما لَكَ لَمْ

تَخشَ فينا خالِقَ البَشَر؟

لِي حَبيبٌ هاجِرٌ وَلَهُ

صُورَةٌ مِن أبْدع الصُّور

أتَلاشَى في مَحَبّتِه

كتَلاشِي الظّلِّ في القَمَر

لَقَدْ كانَتِ الأمْثالُ تُضْرَبُ بَيْنَنا

لَقَدْ كانَتِ الأمْثالُ تُضْرَبُ بَيْنَنا

بجَوْرِ سَدُومٍ وهوَ مِنْ أظلَمِ البَشَرْ

فلمّا بَدَتْ في الكَوْنِ آياتُ ظُلْمِهِمْ

إذا بسَدُومٍ في حُكومَتِه عُمَر

مَرِضْنا فما عادَنا عائِدُ

مَرِضْنا فما عادَنا عائِدُ

ولا قِيلَ : أينَ الفَتَى الألْمَعي؟

ولا حَنَّ طرْس إلى كاتِبٍ

ولا خَفَّ لَفْظٌ على مِسْمَع

سَكَتْنا فعَزَّ علينا السُّكوت

وهانَ الكلامُ على المُدَّعِي

فيا دَوْلَةً آذَنَتْ بالزوال

رَجَعْنَا لعَهْدِ الهَوَى فارْجِعي

ولا تَحسِبِينا سَلَوْنا النَّسِيب

وبين الضُّلوع فؤادٌ يَعي

نَعِمْنَ بنَفْسي وأشْقَيْنَني

نَعِمْنَ بنَفْسي وأشْقَيْنَني

فيا لَيْتَهُنَّ ويا لَيْتَنِي

خِلالٌ نَزَلْنَ بخِصْبِ النُّفُوس

فرَوَّيْنَهُنَّ وأظْمَأْنَنِي

تَعَوَّدْنَ مِنِّي إباءَ الكَرِيم

وصَبْرَ الحَليم وتيهَ الغَنِي

وعَوَّدْتُهُنَّ نِزالَ الخُطوب

فما يَثْنِينَ وما أنثَنِي

إذا ما لَهَوْتُ بلَيلَ الشّباب

أهَبْنَ بعَزْمِي فَنَبَّهْنَنِي

فما زلْتُ أمْرَحُ في قِدِّهِنّ

ويَمْرَحْنَ مِنِّي برَوْضِ جَنِي

إلى أنْ تَوَلَّى زَمانُ الشَّباب

وأوْشَكَ عُودِيَ أنْ يَنْحَني

فيا نَفْسُ إنْ كنتِ لا تُوقِنِين

بمَعْقُودِ أمْرِكِ فاسْتَيْقِني

فهذي الفَضيلةُ سِجْنُ النُّفوس

وأنتِ الجَديَرةُ أنْ تُسْجَنِي

فلا تَسْأليني متى تَنْقَضي

ليالي الإسارِ ؟ ولا تَحْزَني